٣

المنطق القرآني وأثره على الأسماء والصفات

أ.م.د فلاح نجم عبد الله

كلية الإمام الأعظم الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي رزقنا الإيمان بذاته وصفاته، وأنطق الكون بايات وجوده، وكشف به عن عظيم سلطانه ، خلق الإنسان وشرفه بحمل أمانة العقل ، ليكون الأذن المصغية لما ينطق به الكون من الايات ثم الوعاء الحاوي لما يتجلى فيه من الدلائل والعظات. فسبحانه من إله عظيم احتجب عن عباده بحجاب عظمته ، وجعل كل شيء ناطقا بوحدانيته ، وقد تقاصرت عن ادراكه الفهوم ، فالتحقق من العجز عن ادراكه يقين ، واعمال العقل لمعرفة ذاته تخيل ووهم يخرج العبد من الدين .

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، المؤيد بسواطع بيناته ولوامع اياته، بعث بالشريعة العامة للناسخة لما قبلها من الشرائع ، صالحة لكل زمان ومكان ، وافية بمصلحة كل فرد وجماعة من الناس، وعلى اله واصحابه السعداء بصحبته ومحبته المنورين بادابه وعاداته، واتباعه المحسنين الهداة للخلق الى الحق باثباته. لذا إن خير ما يكتسبه المرء في حياته ومآله هو العلم الموصل الى معرفة الله تعالى بالذوق الرفيع والبرهان المنيع ، ولا شك ان العلوم (بكثرة المعلومات) لا نهاية لها ، ولكن اثر المنهج القراني التي تستكمل به حياة الانسان وتتوقف عليه نجاته علمان:

الأول: هو العلم النقلي: الذي تتفرع منه العلوم الاسلامية من العقيدة والتفسير والحديث والفقه واصوله ، فهذا العلم هو الذي بعث الله تعالى به الانبياء والمرسلين مما ينال به العبد مرضاة ربه ويستحق جناته .

الثاني: العلم العقلي: الذي يمتاز به الإنسان عن أنواع جنسه ، وهو ما اخترعه البشر بطبعه ، ويتفرع هذا العلم الى علوم شتى وأنواع مختلفة ، ومن أهم تلك الانواع "علم المنطق" ، الذي تساعد دراسته في نمو الادراك والفهم والوصول اسنى المارب واعلى المقاصد ، فهو معيار العلم كما اطلق عليه العقلاء ، وعند ضبط قوانينه واصوله تعصم المفكر والمحاجج عن الوقوع في الخطا ، حيث تم اختياري لهذا العنوان **(المنطق القراني واثرة على الاسماء والصفات)** لذلك أولاه العلماء

اهتماما واضحا فالفوا فيه المصنفات وادخلوا ضوابطه في مختلف العلوم، والتي كان من ابرزها الاصلان "علم الكلام و علم اصول الفقه" .

ولو خُلِي الانسان وعقله ، دون ان يقوم بينهما اي حاجز من الميول النفسية او الاغراض الدنيوية او وسوسة الشيطان من الانس والجن ، لما عاقه اي شيء عن الايمان بالله تعالى ، ولوَجَدَ الكون مشحونا بالبراهين الناطقة بوجوده تعالى ، ولكن الله عزَّ وجلَّ وقد شاءت حكمته ان يبلوَ الناس بعضهم ببعض ثم يمتحنهم ايهم احسن عملا ، فجعل الى جانب العقل المرشد في الانسان ، شهوات واهواء مضللة، فتولدت بذلك الشبه المصطنعة وتكاثفت الغشاوات المختلفة ، وقام للعصبية في النفوس سلطان اقوى من سلطان العقل في الرؤوس ، فتعكر صفاء الرؤيا الى الحق البدهي ، حتى انقلب هذا الحق في ظن بعض الناس الى فلسفة غيبية وتخيلات وهمية ، من اجل هذا لا نرى عدلا في ما يقول بعض الباحثين اليوم من ان علماء الكلام افسدوا صفاء التوحيد ، بما حشدوا في بحوثهم عنه من قواعد الفلسفة ومبادئ المنطق واصول الجدال ، وانه كان يغنيهم عن ذلك اتباع منهج القران الكريم وعرض براهينه .

المبحث الاول

منهج المنطق القرآني بين الأسماء والصفات

المطلب الاول: نبذة تأريخية عن الأسماء والصفات

اولا:مفهوم المنهج القراني

وقد اشار القرآن الكريم في آيات كثيرة الى دور المنطق في هداية الانسان الى طريق الصواب ومن تلك الايات: استخدام سيدنا إبراهيم علية السلام المنطق والتفكير السليم في توجيه قومه، قال عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ۞ فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۞ فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١).

فقوله تعالى: (نري) هذه الرؤيا لم تكن وحياً نصياً وانما كانت وحياً عقلياً منطقياً بدليل مرور سيدنا إبراهيم بمقدمات مندرجة من الادنى الى الاعلى قبل أن يصل الى النتيجة المطلوبة، فلو كانت النتيجة وحياً مباشراً لحصل العلم بالنتيجة دون المرور بتلك المقدمات والخطوات التي استخدمها سيدنا إبراهيم علية السلام لهداية قومه وارشادهم الى الصواب(٢).

ومن أمثلة الدليل البرهاني ما ورد في قول الله عز وجل ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٣). فهذا دليل برهاني مثبت لوحدانية الله تعالى ،

ومثال المناقضة ما ورد في قول عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤).

فقد علق القرآن الكريم دخولهم الجنة على امر مستحيل بمقتضى العقل المقيد بقيد العادة للدلالة على استحالة وقوع ذلك(٥).

وهكذا حاكى القرآن الكريم الناس ووسع مدارك عقولهم لا على اساس أن القرآن الكريم جاء على نسق منطقي منهجي مقيد بهذه الصور المحدودة ولا على اساس أن هذه الوسائل هي التي توصل الى إدراك الحقائق ولا يوجد سواها ، بل إن ما ذكر في كتاب الله عز وجل هو مفتاح لكل عقل ونور لكل بصيرة تنضبط بها العقول ولا ينضبط بها ، والعرب حينما حاكاهم القرآن الكريم في أول الدعوة لم يكونوا قد عرفوا المنطق الارسطي، لكن ما جبلت عليه فطرتهم كان هو المعول عليه في ادراكهم لأصول العقيدة الصحيحة .

وبعد هذا يمكننا القول إن لترجمة كتب المنطق الى العالم الإسلامي كان لمفكري الاسلام فيها اتجاهان للتعامل هما:

الاتجاه الاول:

ويمثله فلاسفة الاسلام الذين أقبلوا على هذه الكتب شارحين لها ، قابلين بالمنطق بصورته اليونانية كوحدة فكرية متكاملة وعدوه قانون العقل ، وابرز من مثل هذا الاتجاه الفارابي وابن سينا ، فالفارابي بلغت شروحه لبرهان ارسطو عشرة كتب ، وحاول جاهداً ايجاد صلة بين المنطق كعلم دخيل في نظمه على المسلمين وبين

النصوص الشرعية التي نهل معارفها المسلمون ، فجمع بعض الاحاديث النبوية الشريفة ليستدل بها على جواز الاشتغال بالمنطق ، ولكنه مع عظم مداركه العقلية لم يستطع أن يتوسع في المباحث المنطقية بما يتماشى مع سعة المدارك التي اخذها المسلمون من مصادرهم التشريعية فانحصر جهده في الشرح والاطناب لما جاء به المعلم الاول ارسطو ، وجاء بعده الرئيس إبن سينا فحذا حذوه لكنه ادخل بعض الصور والامثلة التي تتماشى مع مفاهيم المسلمين، وادخل بعض الامثلة الطبيعية لاشتغاله بالطب ، وقد خاض تجربة لايجاد منطق مخالف في جزئياته للمنطق الارسطي متفق معه في خطوطه العامة سماه منطق المشرقيين ، وحقيقة الامر انه لم يخرج في كتابه هذا بصياغة جديدة أو زيادة فعلية على ما ذكره ارسطو من حيث المبادئ العامة[٦].

الاتجاه الثاني:

ويمثله المتكلمون الذين رفضوا كثيراً من عناصر منطق ارسطو واضافوا ابحاثاً خاصة بهم[٧]، مستقاة بنور الشرع فجعل العقل السليم يجتهد ويستنبط من دائرة الشرع لا غير .

وفي هذا الاتجاه اخذ المنطق شكلاً آخر ، فقد توسعت أبوابه وتعددت فصوله وامتدت فروعه واتسعت فوائده ليكون معياراً للمعارف التصوّرية والبراهين التصديقية، فبيّن الامام ابو حامد الغزالي ان الحقائق العلمية الثابتة لا تختلف من بيئة الى اخرى ، وما كان من موافقة بين المناطقة وبين نظار المسلمين فانه من قبيل التوارد لا من قبيل التأثير والتأثر[٨]، وحتى لو سلم وجود بعض التأثر والاستفادة منه فهي من باب قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها ، فهو احق بها)[٩] ، كما نستفيد بكثير من المعارف والعلوم الغربية ، قال عز وجل ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٠] فلم تكن المخالفة الا في الاصطلاحات والإيرادات والعبارات دون المعاني والمقاصد ، إذ الغرض تهذيب طرق الاستدلال وذلك مما يشترك فيه جميع النظار.[١١]

قال الامام الغزالي:(ان المنطقيات لابد من احكامها وهذا صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم " الفلاسفة " وانما هو الاصل الذي نسميه في فن الكلام كتاب النظر

فغيروه الى المنطق تهويلاً وقد نسميه كتاب الجدل وقد نسميه مدارك العقول فاذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه الى المتكلمون ولا يطلع عليه الا الفلاسفة)[١٢].

فبين الغزالي انه لا فرق بين معيار العلم عندنا والمنطق عند الفلاسفة ، الا في الالفاظ ، فما سمي عندهم موضوعا ومحمولاً مثلاً هو عين ما يسمى عند الفقهاء والأصوليين بالمحكوم عليه والمحكوم به وعين ما يسمى عند اهل العربية المسند اليه والمسند ، وما يسمى عند المتكلمين بالموصوف والوصف ، وما يسمى قياساً عندهم هو عين ما يسمى بطرق الاستدلال عند نظار المسلمين .

وقد كثر الكلام في حكم الاشتغال بالمنطق فالناس بين قائل بالحرمة وقائل بالاباحة فمن القائلين بالتحريم ابن الصلاح والنووي (رحمهما الله عزَّ وجلَّ) ، وحقيقة الامر ان الكلام في الحل والحرمة منصرف الى الاشتغال بهذا العلم بالاتجاه الاول ، الذي يمثل المنطق الارسطي البحت ، اما الاتجاه الثاني فهو منطق طوع لخدمة العلوم كافة وعلى راسها العلوم الشرعية.

قال إبن حزم[١٣]: (فإن قال جاهل: فهل تكلم احد من السلف الصالح في هذا ؟ قيل له: ان هذا العلم مستقر في نفس كل ذي لب ، فالذهن الذكي واصل بما امكنه الله عز وجل فيه من سعة الفهم الى فوائد هذا العلم... وهكذا سائر العلوم ، فما تكلم احد من السلف الصالح (رضي الله عنهم) في مسائل النحو، لكن لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية ، وضع العلماء كتب النحو)[١٤]

ثانيا: مفهوم الاسماء والاصفات

أن مفهوم الأسماء والصفات لا بد أن نلقي الضوء بإيجاز شديد على تأريخ الأديان لإبراز نور الهداية القرآنية حول هذه المسألة. كان العرب جاهلين بتصور أسماء الله وصفاته، فقد يرد في ديوان العرب ، أي: شعرهم اسم (الله) في أكثر من موضع، ولكن لا يوجد ذكر لصفاته. وجاء في القرآن الكريم تصوير كامل لأفكارهم

وتخيلاتهم، ولكن لم يثبت بأيّ دليلٍ أنهم كانوا على معرفة بأسماء الله ــ تعالى ــ وصفاته. كان بعض مسيحي العرب يستخدمون لفظ (الرحمن) مع لفظ (الله)، وكان من أثر استخدامهم له أن نفَّرَه العربُ المشركون وسخطوا منه، لذا حين استخدم الإسلام هذا اللفظ، رفضه المشركون وسخطوا منه أيضاً، وحين استكتب النبي صلى الله عليه وسلم في معاهدة صلح الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم، فقال ممثل قريش: أقسم بالله بأني لا أعرف لفظ الرحمن(١٥).

وبسبب استخدام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للفظ (الرحمن)، ولوروده كثيراً في القرآن الكريم غضب المشركون، وكانوا يقولون: لن نسجد أبداً أمام الرحمن، وقد ذكر القرآن الكريم حالهم تلك في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (١٦).

كان المشركون ينفرون بسبب ذمّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أصنامَهم وآلهتَهم من ناحية ومن ناحية أخرى ينفرون من اسم (الرحمن) ، وقد أشار القرآن إلى هذا فقال : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٧).

لذا فإن مسألة أسماء الله وصفاته من أهم الاصلاحات الدينية التي جاء بها الإسلام، والتي لم يكن العرب وحدهم جاهلين بها، بل ابتلى بهذا الجهل أيضاً أتباع أديان معروفة في الدنيا، قال السيد سليمان الندوي(١٨) : فكان (يهوة) الاسم الأصلي لله تعالى في صحف وأسفار اليهود، ولكن لم يكن يسمح لعامة اليهود أن يتفوهوا بهذا الاسم المقدس، وكان (ألوهيم) هو الاسم الثاني العام، والذي يستخدم في أيّ مقام أما أسماء الله الأخرى والأسماء التي هي في الحقيقة تعبير عن صفاته الذاتية وأعماله الربانية فلا يوجد ذكر لها في التوراة تماماً وتعتبر صفة(رب الأفواج) هي أوضح صفة من الصفات الإلهية في صحف اليهود كمظهر لصفات الله تعالى الجلالية (١٩).

استخدم لفظ (الأب) لله ـ تعالى ـ في إنجيل النصارى والكتب الدينية، وهذا اللفظ فضلاً عن أنه تعبير ماديٌّ ناقص لصفات الله الجمالية، أدّى إلى اختلاط عقيدة التثليث المبتدعة تحت ستار مسألة الصفات هذه، وأوَّلت الأقانيم الثلاثة بالأب أي الله، والابن أي عيسى والروح القدس ، على أنها عبارة عن ثلاث صفات، الأب أي

الحياة، الابن أي الخلق، والروح القدس أي العلم، وثلاثتهم واحد، ولكن منفصلون في وجودهم، وبناء على هذا التفسير والتأويل ظهرت مسألة تجسيم الصفات الإلهية، وأصبح الإله الواحد مجموعة من الآلهة[٢٠].

ويقول أيضاً: (وعند الهنادكة اختلطت أسماء الله وصفاته بالسحر والشعوذة، إذ أن كل صفة اتخذت وجوداً مستقلاً له، وتجرد الإله نفسه من كل أنواع الصفات، لذا أصبحت سائر ديانات الهند مظهراً لتجسيم الصفات هذا، فـ(برهما) و(مهيش) و(شنو) مجسمات لثلاث صفات: الخالق، والمميت، والقيوم، وقد أدى الفهم الخاطئ هنا إلى وجود التثليث بدلاً من الوحدة) [٢١].

ونتج عن ثنائية (يزدان) و(أهرمان) في المجوسية أن قسمت صفتي الله (الهادي) و(المضل) إلى إلهين مستقلين، وخلاصة هذا التفصيل هو أن الفهم الخاطئ لهذه المسألة ـ مسألة الصفات ـ قد تسبب في نشر الضلال في الدنيا، فجاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبطل تلك التخيلات والأفكار لدى الناس الفاسدة، وصحح عقائدهم الخاطئة[٢٢]، وبفضل نور الهداية الربانية أصبح سراجاً منيراً، وهذا العمل يعدُّ من أهم أعمال النبوة المحمدية صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: وصف الصفات الالهية

من المعلوم أنَّ أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى[٢٣]، وهذه المعرفة لا تتأتى الا بمعرفة صفاته وتجليات هذه الصفات وأثارها في الواقع. وينبغي أنْ نعلم أنَّ الله تعالى متصفٌ بصفات الكمال، منزهٌ عن كل عيب ونقص، وقد وصف الله تعالى نفسه في كتابه الكريم بما يليق بذاته العلية، كما في قوله تعالى﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٢٤] ونطقت آيات الكتاب العزيز بهذه المعاني، فالمسلم ينبغي عليه أنْ ينسب كل صفات الكمال والجلال الى الباري سبحان وتعالى، وينزهه عن كل أمر لا يليق به سبحانه، وهذا هو حق الله تعالى على عباده، وهذا مأخوذ من حديث معاذ إبن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال:(يا معاذ بن جبل"، قلت: لبيك رسول الله،

وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا"، ثم سار ساعة، ثم قال: "يا معاذ بن جبل" قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "أن لا يعذبهم")[٢٥].

وقد اختلفت آراء اهل العلم في تقسيم الصفات الالهية، فمنهم من قسمها الى: صفات ذات وصفات افعال[٢٦]، ومنهم من قسمها إلى: صفة نفسية[٢٧] وصفات سلبية[٢٨] وصفات معاني[٢٩]. وقد وصف الله تعالى نفسه بصفات كثيرة ومختلفة إلا أنَّ جزئيات هذه الصفات كلها تلتقي في عشرين صفة رئيسية[٣٠] ثبتت بدلالة الكتاب وبالبراهين القاطعة[٣١]. وهنا يبدر سؤال هل صفات الله تعالى محصورة بهذا العدد؟ أي هل أنه تعالى لا يتصف بغير هذه الصفات؟ الجواب لا فإنَّ كمالات الله تعالى لانهاية لها، والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، عن عائشة، قالت: (فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[٣٢]. الشاهد أنَّ كمالات الله تعالى ليس لها نهاية، لذلك قال صلى الله عليه وسلم في حقه تعالى" لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه؛ لأن الثناء تابع للمُثْنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فَقَدْر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ[٣٣]. وقال السنوسي في شرحه على أُم البراهين عند قوله: فمما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة، قال: أشار بمن التبعيضية[٣٤] إلى أنَّ صفات مولانا عز

وجل الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين، إذ كمالاته تعالى لا نهاية لها(٣٥).

وهذا واضح في أنَّ صفات الله تعالى لا تنحصر في هذه العشرين، لكن الله تعالى لا يحاسبنا على عدم معرفة جميع كمالاته؛ لأنه لم يكلفنا بذلك؛ ولأنه لا يوجد قدرة من العقل على معرفة ذلك، ولم يرد نص شرعي يبين ذلك(٣٦).

المطلب الثالث: التنوع في عرض الصفات

فقد عرض القرآن أسماء الله وصفاته و هدى اليها في آياتٍ منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً ﴾ (٣٧). ثم بيّن الدليل والبرهان على هذا الهدى إلى الأسماء والصفات، في آيات منها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٨)، مشيراً إلى أن مجيء الصفات بعد كلمة التوحيد دليلٌ على توحيد صفاته تعالى ثم بيّن الفرقان أنه لا يمكن أن تكون هذه الأسماء لأكثر من إلهٍ واحدٍ. فهدانا القرآن إلى الصفات، وأقام الدليل عليها، ثم أتانا بالفرقان بأنه لو كان الأمر غير ذلك لكان عبثاً وفساداً، تلك هي خلاصة عن الجوانب التي يتناولها القرآن من حيث الصفات، بالشرح والبيان.

فلقد عرض القرآن أسماء الله وصفاته وهدى إليه من خلال توصيف الله وتعريفه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، نُسِيَ الكمالُ الإلهي عبْر التأريخ وسْطَ تضارُبِ الفكريّ البشريّ، لكن بفضل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أُعيدتْ الى الإنسانية المحرومة ثروتها المفقودة، وأُعيد اليها لذَّة العبادة، بل ولذَّة الحياة، وشرفها، وأُتيح للإنسانية أن تتمتع بالحضور مع خالقها(٣٩)، لقد جاءت هذه الأسماء متناسبة مع وظيفة الإنسان على هذه الأرض، فهو مستخلَف أجير، وهذا الأجير بحاجة إلى أن يعرف من هو مالك هذه الأرض، وما هو اسمه الذي يناديه به، وبحاجة إلى أنْ يعلم أنَّ الذي استأجره عالِم به حتى لا يغُشَّ ولا يخادع، وأنه قادر عليه

حتى لا يستهين، وأنه رحمن حتى لا ييئس ولا يقنط، فليس هذا المبحث مبحثاً نظرياً وإنما هو واقعي عملي.

حيث تضارَب الفكر البشري حول توصيف الله بين الإفراط والتفريط، فالفلسفة اليونانية بتأثير موقفها تجاه الصفات هو تجريد الذات عن كل وصف [٤٠] أدَّى الى قطعِ العلاقةَ بين الخالق والمخلوق وعلى العكس من ذلك كانت عقيدة الجاهلية خلعت كل صفة من صفات الإله على أشخاص ممن خُلِق من الأصنام وغيرها واتجهت في الدعاء والتضرع من الخالق إلى المخلوق وبالعكس من الاتجاهين فقد أثبت القرآن الصفات لله رداً للفلاسفة ، فقال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَّ مِنَ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾ [٤١]

الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا؛ لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجًا ذكورًا وإناثًا، يكثركم بسببه بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلَّها حسنى، وصفاتِه صفات كمال وعظمة، وأفعالَه تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه مِن أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.

نستطيع أن نقسِّم صفات الله الواردة في القرآن الكريم إلى أقسام كثيرة، وبإعتبارات متعددة، غير أني سأختار هنا تقسيما ينفعني في تحديد علاقة الصفات بالأسماء، وعلى أساس هذا التقسيم يبدو لي أن الصفات تندرج تحت الأقسام الثلاثة الآتية:

القسم الأوَّل: صفات اقترنت بأسمائه تعالى وهي الأسماء الحسنى التي تدل على صفات معينة لله عز وجل وهذا يندرج فيه كل الأسماء الحسنى عدا لفظ الجلالة، فالأسماء التي تدل على الربوبية

والخلــق أو العلــم أو القــدرة أو الرحمــة أو العظمــة كلهــا أســماء اشــتقت من الوصف، فهي أسماء وصفات [٤٢].

القســم الثاني: صــفات تحمل معاني الأســماء المتقدمة غير أنها لم تأت بصــيغة الاسم، وكأنها جاءت مؤكدة لهذه الأسماء، ولنأخذ بعض الأمثلة:

أ ـــــ الأسماء التي تدل على الربوبية والخلق ، مثل: (رب العالمين)، و(الخلاق) و (مالك يوم الدين)، هذه الأسماء جاءت معانيها مكررة في صيغ أخرى: قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْــتَوَىٰ إِلَى السَّــمَاءِ فَسَــوَّاهُنَّ سَــبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٤٣] وهكذا هذه الأفعال خلق ويحيي ويميت تدل على معنى الخلق والملك، كما يدل لفظ الخالق والمالك عليهما أما علمتَ أيها النبي أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصــرف في الســموات والأرض يفعل ما يشــاء ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيفما شــاء، وعليهم الطاعة والقَبول وليعلم من عصــى أن ليس لأحد من دون الله من وليٍّ يتولاهم، ولا نصــير يمنعهم من عذاب الله..

ب ـــــ الأسماء التي تدل على العلم، مثل: (العليم) و(السميع) و(البصير)، جاءت مؤكدة أيضاً بصيغ أخرى غير الأسماء، مثل: قال تعالى ﴿ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَــاءَ وَسِــعَ كُرْسِــيُّهُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [٤٤] فهذه الأفعال (يحيطون، ويعلم، ويدرك، وأبصــر به وأسمع، ويسمع و يبصر) تدل على معنى العليم السميع البصير ويؤكدونها.

ج ـــــ الأسماء التي تدل على القدرة، مثل: (القدير) و(القوي)، جاءت مؤكدة أيضاً بصــيغ أخرى، مثل: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَــيْءٍ قَدِيرًا﴾ [٤٥] فهذه الأفعال (قدرنا، أحاط، خلق) جاءت مؤكدةً لمعنى (القدير، والقوي)، ومؤكدةً لمعنى المصدر (القوة لله).

د ـــــ الأسماء التي تدل على الرحمة، مثل: (الرحمن) و(الرحيم) و(الودود)، جاءت مؤكدة بصــيغ أخرى، مثل: قال تعالى﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَــلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِــهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُــوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْــلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٤٦] فهذه الأفعال (كتب، ويفتح، ويكشــف، وينزّل، وينشــر) تدل على خلق الرحمة ونشــرها ورفع الضــيق، وتدل على معنى (الرحمن)

و(الرحيم) أيضـــاً، إذن هذه الأفعال جاءت مؤكدةً لهما، وكذا اســـتعمال مصـــدر (الرحمة) كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) (٤٨).

هـ ــ الأسماء التي تدل على العظمة، مثل: (العلي) و(الجبار) و (المتكبر)، جاءت معانيها مؤكدةً بصيغ أخرى، مثل: قال تعالى﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٤٩)،جاءت فعل (نبطش) مثل: قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (٥٠) والمصدر مضافاً (بطش ربك) ومضافاً إليه (رب العزة) ، فالفعل والمصـــدر هنا(نبطش) (العزة) مؤكدتان لمعنى (العلي) و(الجبار) و(المتكبر). وهكذا يتبين لنا أن هذا النوع ليس مســـتقلاً عن النوع الأوَّل، وإنما هو مؤكد له، ولكن بصيغ أخرى. (٥١)

فتارةً تكون الصفة بإضافتها إلى الله: قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِـــهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٢)، وتارةً بإسناد فعلها إلى الله: قال تعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٣)، وتارةً على سبيل الاختصـــاص مثل:قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ (٥٤) إلى غير ذلك والحقيقة إن هذا النوع والذي قبله يشـكلان الغالبية العظمى من صفاته تعالى وأما ما تبقى فهو قليل إذا قورن بما تقدم.

القسم الثالث: صفات نقصٍ نفاها القرآن عن الله تعالى وقد يكون هذا النفي ابتداءً، وقد يكون رداً على المشركين وجهلِ الجاهلين، وغالبُ ما نُفِي عن الله يُثبَت له ضده، كما سنرى: (٥٥)

١ـ نفي الشك: قال تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (٥٦).

٢ـــــــ نفي الشريك:قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (٥٧)

٣. نفي الولد:قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (٥٨) .

٤ ـ نفي الوالد: قال تعالى﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٥٩).

٥– نفي الصاحبة: قال تعالى﴿ وَأَنَّهُ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٦٠) .

٦ـ نفي اللغوب:قال تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٦١).

٧ـــــــ نفي العجز: قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٦٢).

٨ ـ نفي السِّنةِ والنوم: قال تعالى﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦٣).

٩ـــ نفي الظلم: قال تعالى﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٦٤).

١٠ـــ نفي اللعب: قال تعالى﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٥).

١١ـ نفي العبث: قال تعالى﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (٦٦).

١٢ـــــ نفي إدراكه بالرؤية: قال تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٦٧).(٦٨)

المطلب الرابع : أثر الصفات الإلهيَّة في الأخلاق الإنسانية

أنَّ الفلسفة اليونانية بتأثير موقفها الذي وقفته من الصفاتــ هو تجريد الذات من كل وصف، قد سدَّت باب الدعاء والالتجاء، وقطعت العلاقة بين الخالق والمخلوق، وعلى العكس من ذلك كانت عقيدة الجاهلية قد خلعت كلَّ صــفة من صــفات الإله على أشخاص ممن خلق، واتجهت في الدعاء والتضرع من الخالق إلى المخلوق لكن بفضــل رســالة ســيدنا محمد صــلى الله عليه وسـلم أُعيدتْ إلى الإنســانية المحرومة ثروتها المفقودة ، يمكن أن نشير إلى بعض هذه المفاخر في الفروع الآتية :

القسم الأوَّل : التخلق بأخلاق الله :

إنَّ عقيدة أسـماء الله وصـفاته ليسـت نظريةً محضــة في الإسـلام، بل لها مكانةٌ عمليةٌ أيضاً، أي: إن محامدَه وصفاتِه هذه معيار للأخلاق الإنسانية.

إن أسماء الله كلها ـ سوى لفظ الجلالة ـ أسماء اشتقت من الوصف، فهي أسماء وصــفات، أي: أســماء باعتبار دلالتها على الذات، وصــفات باعتبار دلالتها على الوصف، وتلك الأسماء على ثلاثة أقسام: صفات جلالية، وصفات جمالية، وصفات كمالية، والصفات الجلالية هي صفات الكبرياء، والعظمة، وهي صفات خاصة بالله

تعالى لا يتصف بها أحد سوى الله. وهذه الصفات لا تتفق ومرتبةَ العبودية، وفي مقابلها يوجَد في العباد صفاتها المضادة، أي: العجز، والتواضع، والمسكنة والانكسار، لذا حُرّم الغرور، والتكبر، والترفع، ومن ثَمَّ اختار سيدنا آدم ـ عليه السلام ـــــ التواضعَ والعجز، واعترف بذنبه، فتاب الله عليه، أما الشيطان فقد اختار صفة الجلالية فقد ترفَّع وتكبَّر، لذا استحق لعنةَ الله الخالدة، يقول الله ــ تعالى ــ:قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٩). فالعظمة والكبرياء في القرآن الكريم لله وحده فقط فلا يتصف بها أحد سواه، يقول الله عز وجل: قال تعالى ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٧٠)، فتقديم الخبرعلى المبتدأ: يدل على الحصر (٧١).

وكذا صفاته الكمالية التي تدل على الوحدانية والأوَّلية والآخرية التي لا تتفق ومرتبةَ العبودية ، فهي صفاتٌ خاصة لله تعالى وحده، وكذا صفاته الكمالية التنزيهية التي تدل على قدسية الله من كل عيب، فهي خاصة لله تعالى أما باقي الصفات الكمالية التي تتفق ومرتبةَ العبودية فيتشرف بها الإنسان، ويتخلَّق بها حسب الطاقة البشرية. وأيضاً الصفات الجمالية التي تتفق ومرتبةَ العبودية صفات تفتح بابها لكل من يتسم بالتوفيق والأهلية، وأعظم مظهر لهذه الصفات هو العفو والصفح، ويأمرنا القرآن أن نتحلى بالعفو عن الآخرين حتى يعفو الله ــ تعالى ــ عنَّا، يقول الله ــ تعالى ــ: قال تعالى ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (٧٢). ومن أسماء الله الجمالية اللطيف والقدوس، لذا يجب على كلِّ عبدٍ أن يعيش في طهارة ونظافة، وهكذا باقي الصفات الجمالية .

القسم الثاني : المنطق القرآني في تعليم الخوف والحب والرحمة :

سبقت الإشارة إلى أنَّ الله تعالى لا يُذكِّر الإنسان بشيءٍ من صفات السطوة والانتقام ، إلا ويُذكِّرُه إلى جانبها بصفات الرحمة والغفران(٧٣). حتى يزول سوء الفهم الإنساني حول الصفات الجلالية، وتزول شبهة القسوة والظلم عنها وبالتالي اقتران صفات القهر والرحمة له تأثيرٌ في سلوك الإنسان، وهذا ظاهر في المنطق القرآني في تعليم الخوف والحب والرحمة.

لو نظرنا إلى الأنبياء الذي جاؤوا إلى الدنيا نجد سيرتهم على قسمين: أحدهما مَن كان جلال الله وكبرياؤه غالبَين على طبعه، إذ كانت أقوامهما قُساةَ القلوب وجُفاةَ الطبع، فدعَوَا عليهم. لذا دعَوا فقط إلى الخوف من الله وخشيته، كسيدنا نوح وسيدنا موسى عليهما السلام

وثانيهما: من كان هائماً ومستغرقاً في الحب الإلهي ويدعو الناس إلى حب الله سبحانه كسيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهما السلام (٧٤) لأنهما جاءا لتلك الأمة التي شُدِّد عليها فجاءا ليضعا مما هم عليه من الأغلال والأواصر .

وجاء رسول يدعو الناس إلى كلا الصفتين، وكان مظهراً للجلال والجمال وسبقتْ رحمته على غضبه متخلِّقاً بأخلاق الله ، وجامعاً للحب والأدب، وهو سيدنا محمد رسول الله صلى الله علية وسلم، والذي كانت تفيض عيناه دائماً من خشية الله من ناحية، ومن ناحية أخرى كان قلبُه متعلقاً بحب الله ورحمته، وكان الناس لا سيما الصحابة . رضي الله عنهم يرون كلا المشهدين في وجهه الشريف في آن واحد.

وعلّم صلى الله عليه وسلم أمتَه كلا الصفتين من خلال القرآن وأخلاقه العظيمة، واهتم بالاعتدال والوسطية في هذا الأمر، وجاء بالإسلام فهو لا يقرُّ أن الله تعالى جبار، وقهار محض، كما أنه لا يقرُّ بأن الله رحمن رحيم فقط، بل يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الله قهار ورحمن في نفس الوقت، ومنتقم شديد العقاب، وغفور رحيم أيضاً، ويعاقب عباده، ويحبهم أيضاً، يغضب ويرضى، يقول الله تعالى: قال تعالى﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٥). وقال الله تعالى في مدح بعض عباده الصالحين، يقول الله تعالى: قال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٧٦).

القرآن يدعو الناس إلى خشيةِ الله لكن يدعو الى خشية الرحمن لا الى خشية القهار ، ولم يترك الرحمة في حالة الدعوة إلى الخشية ، كما نرى وصف عباد الله الخاشعين بقوله: قال تعالى ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (٧٧)، ولم يقل: وخشي الجبار بالغيب حتى يجمع بين

الخشية والرحمة[٧٨].ويقول الله ـ تعالى ـ: قال تعالى﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [٧٩]، جمع بين الخشوع والرحمة، وهذا هو المنهج بين الخوف والرجاء.

وخلاصة القول إن الإسلام لا يدعو الناس إلى الخوف من الله وخشيته فقط، ولا يدعوهم إلى حبه سبحانه فقط وإنما يدعوهم إلى الخوف من الله، وإلى الطمع في حبه ورحمته وكرمه معاً، إذ الخوف وحده يجعل الناس ييأسون من رحمة الله، كما أن اعتمادهم فقط على رحمة الله وكرمه يجعلهم أناساً متمردين بعيدين عن الأدب وغيرَ ملتزِمين بالأوامر.

أما الجمع بين صفات القهر والرحمة فيولِّد حالةً نفسيةً بين الخوف والرجاء. وفائدة الالتزام بهذه القاعدة الجمع بين الرحمة والعذاب من الناحية التربوية هي أن الإنسان يبقى بين جانبي الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر لا يشتد في نفسه الأمل برحمة الله عز وجلَّ إلى درجةٍ تُقعِده عن الواجبات والتكاليف المنوطة به، ولا يغلبُ فيها عواملُ الخوف والرهبة إلى درجة تُصرِفه عن القيام بواجباته، يأساً منه ويقيناً بأنه سعيٌ غيرُ ذي جدوى، وأنه غيرُ مقبولٍ عند الله[٨٠].

القسم الثالث : إعلاء شأن الإنسان من أثر خوفه لله:

الإنسان مستخلَف أجير، وهو بحاجة إلى أنْ يعرف مَن هو مالِك هذه الارض، وما هو اسمه الذي يناديه به، وبحاجة إلى أنْ يعلمَ أنَّ الذي استأجره عالِمٌ به حتى لا يغُشَّ ولا يخادع، وأنه قادر عليه حتى لا يستهين، إنَّ تعليم القرآن للإنسان الخوفَ من الله فيه إعلاءٌ لمعنى التوحيد وتثبيتٌ له ، وهو في الوقت نفسه إعلاءٌ لشأن الإنسان، وذلك أن الأمم التي لم تعرف التوحيد لم ترق إلى درجة الإنسانية، إذ كانت تعتقد أنها متعبّدةٌ لكلّ مظهرٍ من مظاهر الطبيعة خوفاً منها، إلا أن توحيد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخرج من قلوب الناس الخوف من كل شيء إلا الخوف من الله، وعلّمهم أن الضر والنفع بيد الله تعالى فلما ثبت هذا الاعتقاد في قلوبهم ارتقت مرتبتهم من عبادة الأشجار والأحجار والشمس والقمر والمادة والطمع إلى عبادة الله الواحد الأحد، وانعكستْ المسألة بأن الدنيا وما فيها مسخَّر للإنسان وفي خدمةِ الإنسان، وليس العكس، وإن الإنسان مخدوم وإن ما في السماوات

والأرض خُلقَتْ له، كما قال تعالى: قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٨١) وما تشاهدون بين أعينكم من الحيوانات والبهائم كلها خلقت لكم: قال تعالى ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٨٢)، وكل ما تنبته الأرض لكم ومن أجلكم، قال تعالى: قال تعالى﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (٨٣). والشمس والقمر والليل والنهار كلٌّ مُفوَّضٌ لخدمتكم، قال تعالى: قال تعالى﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٨٤)، ولم تخلق هذه الأنهار الجارية إلا لكم، قال تعالى: قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٥)، هذه وغيرها من الآيات القرآنية تدل على هذا المعنى(٨٦)، فإنْ لم يَخشَ الإنسانُ اللهَ حق الخشية فإنه يفقُدُ سيادته على الموجودات اذ يصير عبداً لمظهر من مظاهر الدنيا، خوفاً منه أو طمعاً إلى جلب المصلحة سواء كان مظهراً طبيعياً أو انساناً أو لذةً أو منصباً، وسواء أحسَّ بها أم لم يُحسَّ ورضي أم كره.

القسم الرابع : دائرة الرحمة الإلهية

الإسلام لا يحصر دائرة الرحمة الإلهية أو أيّ صفةٍ من صفاته على أيّ أسرةٍ أو قومٍ، وإنما يدخل البشر جميعاً في ظل صفاته، لقد ضيَّق النصارى هذه الرحمة العميمة واختص بها أنفسم وذلك من خلال ربط نسَبِهم بالله، حين قالوا إن المسيح (ابن الله)، كما جعل اليهود بني إسرائيل أبناءَ الله وأحبَّائَه ومنحوا عُزَيراً نسباً لله . حاشاه سبحانه كما قال الله حكايةً عنهم: قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٨٧)، وفي مواجهة المسلمين قال اليهود والنصارى حصروا حب الله فيهم ولهم لذا نرى القرآن يثبت شمولية رحمة الله للعالَم أجمع بالردّ والإثبات .

أما الرد على الذين يُضيّقون رحمتَه ويدَّعونها كذباً فردّ عليهم فيقول: قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨)، والمعنى لو أنتم أحباب الله فكيف يعذب الحبيب

حبيبه، وأنتم تقرُّون بأن النار تمسَّكم أياماً معدودةً وفي أية أخرى ردَّ على اليهود وحدهم، فيقول: قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٩). لو أنتم أولياء الله لزم أن تتمنوا الموتَ حتى تَلقَوا حبيبَكم، فالحبيب لا يكره لقاء حبيبه، فما دمتم أنتم لا تتمنون الموت فكذبتم في ادِّعائكم محبة الله(٩٠)،

أما الإثبات فلم يكتف القرآن بالرد على اليهود والنصارى بل أعلن وصرَّح بأن رحمة الله شاملة لكل شيء: قال تعالى ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٩١). وهكذا لا يرضى الله أن يُحصَر سلطانُ أيّ صفةٍ من صفاته على أمةٍ أو مجموعةٍ من الناس، لأن الكون وما فيه كلَّه عبيدٌ لله يحكم فيه كيف يشاء ولا يُسأل عما يفعل. فلم يكتف القرآن بعرض الأسماء والصفات بل جاء بالدليل على حقيَّتِهما لتقوم الدعوى على الدليل، وهذا ما سنباشره بالبحث فى المبحث الآتي . إن شاء الله.

المبحث الثاني

المنطق القرآني في إصلاح المفاهيم حول الصفات

المطلب الاول: عقيدة التشبيه والتمثيل

إن بعض الأديان أوجدت مصـــطلحات مادية وجســـمانية للتعبير عن حب الله وكرمه، وضـــلَّتْ جميع تلك الفرق التي عبَّرتْ عن العلاقة بين الخالق والمخلوق عن طريق العلاقات المادية والجسـمانية(٩٢)، ونتج من ذلك أن اسـم (الله) الرب الحقيقي، اختفى في أذهانهم، وحلَّت محله هذه التشـبيهات والتمثيلات، وأصـبحت بمثابة الإله، ثم تجسمت وتحوَّلت إلى الأوثان والأصنام، بينما كانت مجرد تشبيه كلامي.

قال السـيد سـليمان الندوي: (فمنهم من يعتقدون أن المرأة رمز للحب الإلهي، ومنهم من جعلوا يعبرون عن علاقة الخالق مع المخلوق بعلاقة الأب مع الابن، ونحتوا لها تمثالاً عظيماً تعبيراً عن حب الله لعبده ثم تحول التمثال إلهاً عبر الزمن، ومنهم من يعبرون عن ذلك بحب الزوج لزوجته، وبدْءُ أمرِ بني إســـرائيل يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الإله هو الأب، وجميع الملائكة والبشـــر أوْلادُه، لكن في نهاية المطاف أصـــبح بنو إســـرائيل هم فقط أبناء الله. والنصـــارى فقد حلّ تمثيل الأب والابن فيهم

محل الحقيقة والواقع، والعرب الجاهلية كانوا على نفس الفكرة، فكانوا يتصـــورون أن الله هو الأب، والملائكة بنـــاته)[٩٣]. وسيراً على طريق العلاقات المادية اعتقدت تلك الأديان أن هذه هي أفضـــل طريقة للتعبير عن العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهذا سبب رئيس في انتشار الوثنية عبر التأريخ.

هكذا كانت الدنيا على هذا المســتوى من الضـــلالات والانحرافات والزيغ الفكري، إذ بزغت شمس الإسلام وأشرق على العالَم فجرٌ جديد، وطلعت أشعتها في بقاع العالم، وأوَّل ما قام به هذا الدين هو القضـاء التام على كل هذه التمثيلات، والصـور الوهمية والخيالية، وقرر الإسـلامُ أن استخدام هذه الاصـطلاحات من الشرك، وأعلن أنه: قال تعالى﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِـيرُ﴾ [٩٤]، فنتج عن هذا أي: عن منع المصطلحات المـــــادية لدى الخصم بأن إله الإسلام لا يتصف بالرحمة والكرم نعوذ بالله ..

ليس معنى ذلك أن الإســلام قطع علاقة الحب والمودة واللطف والرحمة القائمة بين العبد والرب، بل على العكس إنها زادتها قوةً ورســـوخاً وإحكاماً، وإنما ألغى تلك التعبيرات المصنوعة في صورة التجسيم، وذلك لأكثر من سبب أذكر سببين منها كما يقول السيد سليمان الندوي:

اولا: أن التمثيل والتجســـيم والتشـــبيه وما شـــابهه من التعبيرات الأخرى التي يســـتخدمها الإنســـان، هي أقل من الحقيقة وأبعد من الواقع كثيراً، وذلك لأن العلاقة التي تربط الأبنـاء والبنـات بـالآبـاء والأمهـات، والأزواج بـالزوجـات هي أقلُّ بكثير وأضعفُ درجةً في نظر الإسلام بإزاء العلاقة التي تربط الخالق بالمخلوق.

ثانيا: إن هذه التعابير قد تدفع الإنسان إلى الإشراك بالله، فسدَّ الإسلام كل هذه الذرائع والوسـائل التي تسـبب هذا العصـيان الكبير، ونادى بأعلى صـوته: قال تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [٩٥] [٩٦].

لو نظرنا إلى هذه الآية لوجدنا أن الله لما أراد أن يذكر محبته لم يقل: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ)، فهو عز وجلَّ لم يشبه نفسه بالأب، لأنه تشبيه مادي، وإنما شبّه حبه بحب الآباء، والحب شيء غيبي وليس مادياً، واتضح من ذلك أن الله سبحانه قد تخلّى عن القرابة المادية، وأبقى الجانب الغيبي من هذه العلاقة الجســـمية، بل زاده تقويةً وتأكيداً فقال: (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)، فدل على أن الصـــلة التي تربط المخلوق

بالمخلوق، وأن الحب الذي يوجد بينهما هو أدنى مكانة، وأقل درجة من العلاقة التي تربط الخالق بالمخلوق لذا قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٩٧)، ولم يقل: والذين آمنوا أقرب ابناً لله مثلاً، نقضاً للتشبيه والتمثيل بل أبقى الحبَّ الروحاني ونفى التشبيه المادي.

وأيضاً إن الإسلام لا يرى أن الله سبحانه وتعالى هو (أب العالمين) وإنما هو (رب العالمين) لأن مكانة الرب ودرجته أسمى وأعلى وأرفع من الأب، فعلاقة الوالد مع ابنه مؤقتة عارضة، لكن علاقة الرب مع عبده لا تزال مستمرة قائمة متواصلة دون انقطاع، منذ أن خلقه إلى أن يتوفاه وحتى بعد وفاته(٩٨).

ولما كان التعبير عن الحقائق الروحانية باللغة البشرية المادية، استخدم الإسلام العواطف والأحاسيس والمشاعر المحضة للتعبير عن العلاقات والصلة بين الخالق والمخلوق بدلا من العلاقة الجسمانية والمادية التي استخدمتها الأديان الأخرى كالأب والإبن وغيرهما .

إن إنكار الإسلام لطريقة التعبير الجسمانية هذه عن الحب لا يعني أن الإسلام خال من مشاعر الحب بين الخالق والمخلوق، فبمجرد فتح المصحف الشريف يقع النظر قبل كل شيء على صفتي الله الرحمن الرحيم، ففي كل سورة في القرآن الكريم ترد هاتان الصفتان من خلال (بسم الله الرحمن الرحيم) وتكرر مراراً في كل صلاة، وهذا دليل على أن القرآن استعمل الألفاظ الدالة على المشاعر الروحية للتعبير عن العلاقة بين الخالق والمخلوق بدلاً من ألفاظ الأب والابن والأم الجسمانية (٩٩).

وقد ورد في القرآن اسم (الودود) قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (١٠٠)، والتي تعني المحبوب، ومن أسماء الله الأخرى (الولي) :قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٠١). وورد اسم (الرؤوف) في القرآن الكريم وهو لفظ مشتق من الرأفة، قال ـــ تعالى ـــ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٢)، وأخبر القرآن أن الله غفار وغفور، قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ (١٠٣). وأخبر بأنه هو السلام وهو المؤمن: قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٠٤)، وأنه هو الوهاب: قال تعالى ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (١٠٥)، وأنه هو الحليم: قال تعالى ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

(١٠٦)، وأنه هو البر: قال تعالى [﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١٠٧)، وأنه هو التواب: قال تعالى ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ (١٠٨).

لو تدبَّرنا في كلِّ اسمٍ من هذه الأسماء وفي كل صفة من هذه الصفات، لأدركنا مدى علوِّ وسموِّ تصورِ الإسلام عن ذات الخالق المطلق، وهكذا يدعو القرآن إلى هذه المعاني الروحانية دون احتياج إلى تمثيل مادي أو جسماني. فيُثبِت الحب بلا حاجة إلى المصطلحات المادية والجسمانية .

وهذا منطق القرآن في إثبات الحب وسائر الصفات إثباتاً غيرَ مادي. وهذا منهج تربوي ، إذ يثبت الحب من جانب حتى لا ييأس العبد من أعماله، إذ العمل دون الحب لا يكون مستمراً، ومن جانب آخر أنكر القرآن استعمال المصطلحات المادية حتى لا يقع في التشبيه المناقض لمعنى الإله الحق، ومن ثم رفض الإسلام تماماً كل الألفاظ أو المصطلحات التي تعبر عن هذه الصلات الجسمانية والعلاقات المادية بين الخالق والمخلوق(١٠٩).

وهذا المنهج منهج وسط لتعديل مفهوم الصفات ، إذ تضارَب الفكر البشري حول توصيف الله بين الإفراط والتفريط فالفلسفة اليونانية بتأثير موقفها تجاه الصفات هو تجريد الذات عن كلِّ وصف ، أدَّى إلى قطعِ العلاقةَ بين الخالق والمخلوق . وبالعكس من ذلك كانت عقيدة الجاهلية قد خلعت كلَّ صفةٍ من صفات الإله على أشخاص ممن خُلِق ، واتجهت في الدعاء والتضرع من الخالق إلى المخلوق وبالعكس من الاتجاهين فقد أثبت القرآن الصفات لله رداً للفلاسفة ، وأنكر المثيل له ــ تعالى ـ رداً للمشركين قال تعالى﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١١٠)

المطلب الثاني: فصل الصفات عن الذات

إن الأمر الثاني الذي تسبب في فساد عقيدة التوحيد لدى الأديان الأخرى هو قضية فصل الصفات، يعني: إعطاء الصفات كلها مكانةً مستقلةً على حدة، وفصلها عن الذات، فنلاحظ في الديانة الهندية مثلاً لو ذهبنا نَعدُّ الآلهةَ الموجودة لديهم لا تُحصى، والسبب في ذلك أنهم جعلوا كلَّ صفةٍ من صفات الله تعالى درجةً منفصلة عن الذات، ثم سمَّوها إلهاً، ثم قاموا بتجسيم التشبيهات والتمثيلات لها، فلما جاؤوا في بيان صفة القوة والبطش لله ، أظهروها باليد الحقيقية، ونحتوا له سبحانه وتعالى

أياديَ كثيرة، ولما أرادوا التعبير عن حكمةِ الله جسّموا صفةَ الحكمة بالرأس، ثم نحتوا له بدل رأس واحد رأسين اثنين، وهكذا في باقي الصفات(١١١). ثم توزع الهندوس إلى جماعات مختلفة نظراً إلى نشوء فكرة تجسيم صفات الله فيهم. فلمَّا كان الله سبحانه وتعالى له ثلاث صفات عظيمة: الخالقية، والقيومية، والإماتة، فهُم قد جعلوا هذه الصفات الثلاث شخصيات مستقلة على حدة، وأطلقوا عليها أسماء خاصة، فمثلا أطلقوا اسم (بَرْهما) على الخالق، و(مِهْيَش) على القيوم، و(شِيُو) على المميت(١١٢). ونتج من ذلك ثلاث فرق تبنَّتْ كلٌّ واحدة منها عبادةَ واحدٍ من هؤلاء الثلاث، فبراهمة الهند(١١٣) اتخذوا (برهما) إلهاً لهم، ومنهم من جلعوا إلههم (مِهْيَش)، وآخرون جعلوا (شِيُو) إلهاً لهم. ولم يقتصر الأمر على الهندوس الضالين، بل إن النصارى والمسيحيين كذلك نحَوا نحوَهم، وساروا على منهجهم، فاتخذوا الصفات الثلاث: (الحياة، العلم، الإرادة) شخصيات مستقلة، وسموها بالأقانيم الثلاثة، فجعلوا الأب رمزاً للحياة، وروح القدس رمزاً للعلم، والابن رمزاً للإرادة، وهذه هي السنة المتبعة لدى الروم والإغريق ومصر(١١٤).

ولما بعث الله تعالى رسولَه الكريمَ سيدَنا محمداً صلى الله علية وسلم وأنزل عليه القرآن كشفت رسالتُه النقابَ عن هذه الأخطاء الفاحشة، والجهالات العمياء، وأثبتت أن الذين انخدعوا بتعدد الصفات وجعلوها شخصيات مستقلة، إنما هم وقعوا فريسة الجهل والغواية، وحادوا عن الصراط السوي، وأعلن القرآن بأن الله ذات واحد، وله صفات متعددة، فهو الخالق: [هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (١١٥). وهو نفسه القيوم: قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (١١٦)، وهو نفسه المميت قال تعالى[﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١١٧)، وهو نفسه الحي:قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ۚ (١١٨)، وهو نفسه العليم: قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٩)، وهو صاحب الإرادة: قال تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٢٠)، لذا نرى وصف الله نفسه بصفات عديدة في القرآن. وهذا الفصل فصل الصفات عن الذات هو المعني والمقصود بالإشراك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٢١).

فأرشـــدنا المنطق القرآني إلى أن الله تعالى هو الذات الواحد الخالق البارئ الملك القدوس الســـلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وهو الرحمن الرحيم، وليســـت هذه الصـــفات إلا لذات واحد ألا وهو الله ســـبحانه وتعالى وهذا هو الحكمة في ذكر الصـــفات المتتالية في القرآن. قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِـــعًا مُتَصَـــدِّعًا مِنْ خَشْـــيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْـــرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٢٢)(١٢٣) .

ونحن لم نعرف الله الواحد الأحد الصـــمد، الذي له عدة صـــفات مختلفة، إلا عن طريق القرآن والرسالة المحمدية صلى الله عليه وسلم، إذ فُصِّلت الصفات عن الذات في الأديان الأخرى .فلا بدَّ من التفات إلى ســـموَّ القرآن في تعديل المفاهيم الخاطئة التي تســـرَّب إلى الأذهان ، لا بد أن نســـأل: مَن الذي علَّم الإنســـانية الحائرة هذه التعاليم السامية حول الصفات غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟! .

المطلب الثالث : ما يترتب على الايمان بالصفات الالهية

وتتلخص في تنزيه الله تعالى عن اضداد هذه الصفات وسائر النقائص وفي ما يجوز في حق الله تعالى ، ورؤية الله تعالى والقضـــاء والقدر وضـــرورة الايمان بهما ، لذا جعلت هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

اولا: ما يستحيل في حق الله تعالى

يســتحيل على الله تبارك وتعالى اضــداد الصــفات الواجبة له المتقدمة ذكرها ، والتي اثبتناها بالادلة النقلية والعقلية ، واضداد الصفات الواجبة لله تعالى ، هي:

العدم ضــد الوجود ، والحدوث ضــد القدم ، والفناء ضــد البقاء ، والمماثلة للحوادث ضـــد المخالفة للحوادث ، والافتقار الى المخصـــص والمحل ضـــد القيام بالنفس ، والتعدد ضــد الوحدانية ، والعجز ضــد القدرة، والكراهية ضــد الارادة ، والجهل ضــد العلم، والموت ضد الحياة ، والصمم ضد السمع ، والعمى ضد البصر، والبكم ضد الكلام(١٢٤).

ويمكن الاســتدلال على اســتحالة هذه الصــفات ان تكون لله تعالى عن طريق برهان القياس الاستثنائي المتصل وهو ان نقول:

المقدمة الكبرى : لو لم يتصــف الله تعالى بالصــفات الواجبة له ، لزم ان يتصــف باضدادها.

المقدمة الصغرى: ولكن اضداد هذه الصفات نقائص، والنقص على الخالق تعالى محال.

النتيجة : اتصاف الله تعالى بالصفات الواجبة له

لانه يلزم من استثناء نقيض تالي المقدمة الكبرى ، وهو (اضداد هذه الصفات نقائص) ، انتاج نقيض مقدمها ، وهو (اتصاف الله تعالى بالصفات الواجبة له) فتكون اضدادها محالاً عليه[١٢٥]، وهو المطلوب.

ثانيا: ما يجوز في حقه تعالى

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن او تركه ، كالخلق والرحمة والعذاب والاماتة والاحياء...

فلا يجب عليه شيء، فهو الفاعل المختار المتصرف في ملكه كيف يشاء لا يشاركه في التصرف ، ولا يحول دون تصرفه احد.

وافعاله جميعا جارية على وفق الحكمة والعدل والصواب ، سواء علمت تلك الحكمة او جهلت[١٢٦].

والدليل النقلي على ذلك:

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [١٢٧]

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [١٢٨]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [١٢٩]

وأما الدليل العقلي على ذلك:

يمكن الاستدلال ببرهان القياس الاستثنائي المتصل وهو ان نقول:

المقدمة الكبرى : لو وجب على الله تعالى فعل شيء من الممكنات ، او استحال عليه ، لصار الممكن واجبا او مستحيلا

المقدمة الصغرى: ولكن القول بان الممكن واجب اومستحيل باطل

النتيجة : لا يجب على الله تعالى شيء ولايستحيل عليه شيء

لانه يلزم من استثناء نقيض تالي الكبرى وهو ان الممكن واجب او مستحيل باطل ، انتاج نقيض مقدم الكبرى وهو لا يجب على الله تعالى فعل شـــيء من الممكنات وكذلك لا يستحيل على الله شيء [١٣٠].

ثالثا: رؤية الله تبارك وتعالى

من المعلوم ان هذه المسالة مما يقع ا لنزاع فيها بين جمهور المسلمين وبعض الفرق الاســلامية الاخرى، وسـبب ما وقع فيها من النزاع انها لا ترتبط بادلة قطعية جازمة مثل بقية مسائل العقيدة ؛ (ولذلك لم يكن الخلاف فيها مستوجبا للكفر والردة ، والعياذ بالله تعالى ، وان كانت مخالفة اهل الســـنة والجماعة ، وهم جمهور المســـلمين ، تســـتوجب الفســـق والجنوح عن الحق)[١٣١]. ونحن نريد ان نلخص القول في هذه المســـالة ولا نفصـــل فيها ، لان الغاية من بحثنا هو اظهار اثر المنطق في اثبات مسـائل العقيدة ، ومسـالة رؤية الباري عزوجل من ضـمن مسـائل العقيدة لذا نحاول جاهدين اظهار الاثر المنطقي في اثباتها ، وسـوف نتجاوز الخلافات بين اهل السـنة والجماعة مع بقية الفرق من المعتزلة والشيعة وغيرهم الا بقدر الحاجة ، والله الموفق للصواب. والكلام يتعلق بمسالة رؤية الله تعالى من جانبين:

الجانب الاول: البحث ان رؤية الله تعالى مما يجوّزه العقل.

الجانب الثاني: هل في الادلة الســـمعية ما يدل على جوازها في الاخرة فقط او في الدنيا كذلك.

اما الجانب الاول: فقد ذهبت المعتزلة الى ان العقل لا يجيز رؤية العباد ربهم مطلقا ، واجمع الائمة من اهل السنة والجماعة على ان رؤية العباد لربهم مما يجوّزه العقل.

اما شُـبَهُ المعتزلة فخلاصـتها ان الرؤية انما هي انطباع صـورة المرئي في الحدقة، ومن شـــرط ذلك انحصـــار المرئي في جهة معينة من المكان ، حتى يمكن توجيه الحدقة اليه.ومن المعلوم علم اليقين ان الله تعالى ليس جســـما ، ولا تحده جهة من الجهات ، فلا يمكن ان يرى العبد ربه لا في الدنيا ولا في الاخرة[132]، وقد اجاب اهل السنة والجماعة عن هذا الكلام بقولهم:

انا لا نسلم لكم ما زعمتموه من أن الرؤية لا تتحقق الا اذا كان المرئي مقابلا للرائي... الى اخر ما ذكرتموه بل نحن نقول:

ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في عبده متى شاء من غير ان يلزم فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك ، فيصح ان ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر ، كما ورد في صحيح الاحاديث(١٣٣)، والدليل على رؤية الباري عزوجل من المنقول والمعقول.

الدليل النقلي على رؤية الباري عزوجل:

١- قوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (١٣٤)

٢- وقوله تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ (١٣٥)

٣- حديث ابي هريرة (رضي الله عنه) الصحيح: (ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا: لا يا رسول الله ، قال: فانكم ترونه كذلك ...)(١٣٦)

رابعا:الاجماع:

(اجمع الصحابة والتابعون على ان الله يرى في الاخرة ، لابتهالهم الى الله في طلب لذة النظر الى وجهه الكريم واعتقادهم بذلك ، كان ذلك بقرائن من احوال رسول الله "عليه الصلاة والسلام" ، وجملة من الفاظه التي لا تدخل تحت الحصر)(١٣٧).

قال الامام مالك رضي الله عنه : لما حجب اعداؤه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأَوه ، ولو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة ، لم يعيّر الكافرون بالحجاب ، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٣٨) (١٣٩).

الدليل العقلي: ويمكن ان نستدل على جواز رؤية الباري عزوجل استدلالا منطقيا عن طريق القياس الاقتراني الحملي ، هو ان نقول:

المقدمة الصغرى: ان الله تعالى موجود ، كما اثبتنا سابقا بالادلة النقلية والعقلية

المقدمة الكبرى : وكل موجود يصح ان يرى

النتيجة : ان الله تعالى يصح ان يرى

وكما جاز ان يعلم الباري عزوجل من غير كيفية وصـــورة ، جاز ان يرى من غير كيفية وصورة ؛ حيث لا يلزم من نفي ادراك الكيفية نفي الرؤيا[١٤٠]. ومن المعلوم ان المناظرة بين اهل السـنة والجماعة القائلين: برؤية الله جل جلاله بالابصـار يوم القيامة ، وبين المعتزلة المانعين لذلك ، انما هي في جهة الامكان ، فالمعتزلة يقولون انها مستحيلة ولا تدخل في الامكان اصلا ، واهل السنة يقولون هي ممكنة ، وطلب سيدنا موسى عليه السلام للرؤية في قوله تعالى ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [١٤١]، دليل على امكانها ؛ لأَن نبي الله موسـى عليه وعلى نبينا الصـلاة والسـلام لا يجهل المستحيل في حق الله تعالى ، ولا يلتبس عليه بالممكن حتى يساله .

وصـورة الاسـتدلال على جواز رؤية الله تعالى ، يمكن عن طريق برهان القياس الاقتراني الحملي وهو ان نقول:

المقدمة الصـغرى: ان الله تعالى اثبت في كتابه العزيز وقوع الرؤيا بالفعل في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [١٤٢]

المقدمة الكبرى : وكل ما اثبته الله تعالى في كتابه فهو حق صحيح

النتيجة : رؤية الله تعالى حق صحيح

اما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد اتفقت الامة على ان الله تعالى لا يراه احد في الدنيا، الا انهم اختلفوا في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام ربه في الدنيا ، فمنهم من اثبتها ومنهم من نفاها ، وكل منهم يسـتدل بالادلة السـمعية ، ولما كان الاحتمال للقولين ممكنا فلا يدعو عندئذ الى الجزم لواحد منهما. ورؤية الباري تعالى في الدنيا جائزة عقلا[١٤٣]، وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سـؤال سـيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لها ، ومحال ان يجهل نبي شيئاً من احكام الالوهية ، وخصوصا بما يجب له تعالى وما يستحيل[١٤٤].

المطلب الرابع: الالتباس في فهْم أنواع الأفعال المختلفة

إن السـبب الباعث للشـرك تارةً ولجحود الخالق تارةً أخرى هو الانخداع بتعدد الأفعال وتنوُّعها، ويمكن التقسيم إلى اتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: إن بعض الناس ظن أن القائم بهذه الأفعال المختلفة هو شخصيات مختلفة، وكل فعل تقوم به ذات مستقلة على حدة، فمنها مَن هو ميت، ومَن هو محيي، لأن الحياة والموت شيئان متضادان لا يمكن أن يصدر من إله واحد، وكذلك مَن هو يأمر بالحرب والقتال، ليس هو نفسه مَن يدعو إلى الصلح، ومَن هو يحب العباد، ليس هو بعينه مَن يبغضهم، وبالجملة فإنهم قد اختلقوا لكل شيئين متضادين إلهين اثنين. حقيقة الخير والشر: ليس هناك شئ في الدنيا يطلق عليه خير محض او شر محض بالنسبة لجميع الأزمان والأحوال والأشخاص، وإنما الإنسان هو الذي يجعله خيراً إذا أصاب في استعماله، أو شراً إذا أساء في استخدامه، فالنار مثلاً إذا استخدمناها في طهي الطعام، أو نُوقدها لكي يصطلي بها الفقيرُ المحتاج في البرد القارس، فإن هذا يكون خيراً، لكن إذا استخدمناها في إحراق بيتٍ فقيرٍ أو مسكينٍ فهذا شرٌّ ، إذن النار في ذاتها ليست خيراً أو شراً، وإنما تتحول إلى خيرٍ أو شرٍّ بعمل الإنسان وفعله. (١٤٥)

وكذا الكون قد خلقه الله، ثم خصّ كلَّ شيءٍ بخاصية، وأودع فيه قوى مختلفة، ثم خلق الإنسانَ ووهبه ثروةَ العقل والفكر، وأكرمه بالفهم، فنظر بعض الإنسان في صنع الله ـ تعالى ـــــ وحُسْنِ ترتيبِه وبديعِ نظامِه وخواصّ الأشياء الموجودة، فلم يلبث إلا أن يعجب بصنع الله الذي أتقن كل شئ، وقال متعجباً بجلال الحكمة والصنع: لقولة تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤٦)، وانطلق لسانه قائلاً بخشوع، كما قال سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام :لقولة تعالى ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤٧).

ومقابل هذا الإنسان إنسانٌ آخر ملَّكت هذه الأشياءُ نفسَه، وغلبت عليه هذه الخواصُّ، والتبست عليه حقائقُ هذا الكون، فلم ينفعه عقلُه وفكره، حتى أنكر ذات الباري ـــــ تعالى ـــــ، وظلَّ يعتقد أن المادة هي أصلُ الكون وعلةُ العلل، وينطلق لسانه قائلاً: لقولة تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١٤٨).

إذن الكون واحد، لكن قوة الفكر والعقل مختلفة ومتعددة، وإذا أمعنَّا النظر فيتجلى أمامنا أن الكون في واقع أمره لا يهدي ولا يضل، وإنما نهتدي ونضل بعقولنا(١٤٩).

النتيجة: إن الاختلاف في الأفعال لا يدل على تعدد الفاعلين واختلافهم، بل كل ما في هذا الكون من عجائب الخلق وحُسْنِ الصنعة، هو من الخالق الواحد الذي لا شريك له في الخلق والأمر، وإن الخير والشر والهداية والضلالة كل ذلك بيده، لكن

لا اعتباطاً بل بالتسبب، كما أعلن الباري ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (١٥٠).فبينت الآيات الكريمة أن الهداية والضلالة مصدرهما ذات الباري تعالى إلا أن الإنسان هو الذي يتسبب في بدئهما في أوَّل الأمر، فإنه إن فسق، وقطع الرحم، وأفسد في الأرض، وكفر وجحد، تأتي النتيجة بالضلال، فكان أفعاله القبيحة سبقت الضلالةَ، فهي نتيجة وجزاء مسبوقة، وليست الضلالة هي التي سبقت الفسق وغيرَه من الأعمال السيئة.

الاتجاه الثاني: يتوهم بعض الجاهلين بحكمة الله في تصرفاته، وذلك من خلال بعض المشاهد والحوادث التي تناقض ظاهراً مقتضيات أسمائه الحسنى، وذلك تقودهم إلى التشكيك والإنكار في وجود الله تعالى فيقولون: إذا كان الله موجوداً، رحيماً، حكيماً، خالقاً للخير، وسعت رحمته كل شيء، فما وجه الحكمة والرحمة والخير في ما ينشؤه من الظواهر الطبيعية المدمرة كالزلازل والبراكين، وما تزخر به حياة الإنسان الذي هو غاية الخلق ـ في نظر المؤمنين من السلبيات الأليمة ؟.

فيجاب عليهم:

بأنَّ النظرة الجزئية في الكون والحياة هي التي تؤدي إلى هذا الشك والإنكار، فيجب على الإنسان إذن أن يجتهد في اكتساب النظرة الشاملة البعيدة إلى مناظر الكون، وأن يبتعد جهده عن تركيز النظر عن مشهد من مشاهد الوجود أو حادثةٍ مفردةٍ من حوادثه، دون تقديرٍ وحسابٍ للملابسات المصاحبة لها، والغاياتِ المتحققة منها.

فمثلاً: إننا لا نرى أيَّ ظلمٍ في وضعِ أطفالنا في صالة العمليات الجراحية يَشقُّ الطبيبُ صدرَه أو بطنه أو عينه، لأننا نستيقن أو نظن ظناً راجحاً الآثار الإيجابية لتلك العملية، وقد لا يصيبنا يقينُنا أو ظنُّنا.

وأعينُنا لا تدمع لرؤية مُجرم ينال عقابه، لأننا نتصور ونستحضر في ذهننا ما قام به من الجرائم التي اقترفها وما نراه نحسبه أنه جزاءُ جرمِه. وإذا كنا ننظر في أفعالنا ومتعلقات حياتنا اليومية، تلك النظرة الشاملة فأولى بنا أن نطبق مقاييس تلك النظرة وخصائصها على ما خلق الله في الكون وما قضاه وقدَّره من أحداث(١٥١).

فالإيمان بالله لا يقرُّ التناقضات، و لا يحرِّم على الإنسان محاولةَ تحسينِ أوضاعه، وأحواله، وباستطاعتنا بشئ من التدبُّر أن نتبين مجموعة ضخمة من الآثار الإيجابية التي تعقبها مظاهرُ الكون السلبية في ذات الإنسان ومحيطه الخارجي، من آثار علمية ونفسية وأخلاقية وعمرانية وإيمانية.

من الناحية العلمية: من البديهي أن الهمم البشرية إنما تتحرك وتتدفق إما لإزالة المخاوف والمخاطر أو التقليل من آثارها، أو لتحقيقِ الآمال في تطويرِ الحياة وتحسينِ ظروفها، فلو انعدمت مخاوفُ الإنسان من الأقدار الفاجعة، ولا يحسب للجرح ألماً ولا يجد للخوف في وجدانه إثارةً ولا دفعاً، هل سيبلغ الإنسان هذه الدرجة الرفيعة من التقدم في مجالات الطب، والصناعة، والزراعة، والتقنية مثلا؟ الجواب: لا بكل تأكيد، إذ لولا خوف الإنسان من المرض، ورهبتِه من الموت، لَمَا ابتكر واكتشف كلُّ هذه الأجهزة الطبية وهذه الأصناف من الأدوية الواقية، ولولا خوفُه من نشوب الحرائق لما صنع أجهزة الإطفاء، ولولا أنَّه يتحسَّب لأخطار الفيضانات لَمَا هداه تفكيرُه إلى إقامة السدود. وهكذا فإن مخاوف الإنسان ممتزجةٌ وباعثةٌ لتقدمه في كافة المجالات(١٥٢).

ومن الناحية النفسية: فإن الإنسان حينما لا يخاف شيئاً فإنَّ حياته تنقلب من الهناء إلى الضنك، إذ يتمزق نفسيّاً ويفقد الشعورَ بمباهج الحياة مع توفرها بين يديها، فكون الإنسان بين الخوف والرجا يأمل ويخاف، ويسرُّ ويألم، يجعله في وضع إنساني حي، إذ يتفاعل مع الحياة يؤثر ويتأثر، ويتذوق من مباهج الحياة بعد مرارة العيش(١٥٣).

أما من الناحية الأخلاقية والعمرانية: فمن لا يخاف شيئاً فإنه يطغى فلا تعرف الرحمةُ إلى قلبه سبيلاً، وينقلب مخلوقاً ضارياً ومفترساً يفترس وينتهك أو يُدمِّر: قال تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (١٥٤). أما إذا كان يخاف أقدارَ الحياة التي تتحداه دوماً، وتُهدِّد وجودَه وأمنَه الذاتي، فإنه سيُوَزِّع طاقاته العلمية والجسمية بين محاوَلة حماية وجوده من الأقدار الخارجية، وبين محاولة حمايته مِن شرِّ مَن هو أقوى منه وأكثر جمعاً وأعظم بأساً من بني جنسه(١٥٥).

أما من الناحية الإيمانية: فلولا ما يشعر المرء بالبلاء، وما يحيطه من الأقدار، وما يستتبع ذلك في وجدانه من الشعور بالعجز وعدم القدرة على محو كثيرٍ من صور التحدي وألوان المصائب، ولَمَا أحسَّ بأيَّةِ حاجةٍ إلى من يفوقه علماً وقدرةً وإمكانيات، يستمد منه العون، فلو خلت الحياة من هؤلاء المؤمنين لفسدت الأرض بحكم الهوى الإنساني الجامح ولكن أكثر الناس لا يعلمون: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ (١٥٦). ولو كانت هناك أشياء تختفي الحكمة منها عن عقولنا، فسببه قصورُ تلك العقول ومحدوديتها، والأولى قياسُ القليلِ النادرِ مما لم تظهر حكمته على الكثير المستفيض الذي لا يُعَدُّ ولا يُحصَى من مخلوقاته، لا أن يتخذ القليل النادر الذي خفيت حكمتُه دليلاً على إنكار وجود الله الخالق(١٥٧)**الخاتمة**

أوَّلا: إن منطق القرآن ومنهجه لا يهدف في عرضه العقيدة إلى تصوير العقيدة كنظرية فلسفية لا يتجاوز سلطانها الذهن، وإنما يهدف إلى عقيدة عملية متناسبة مع واقع الإنسان من حيث قدرته العقلية والروحية والنفسية، ومن حيث الوظيفة التي كلف بها الإنسان، فعرَض القرآنُ مسائلَ العقيدة عرضاً دافعاً للإنسان إلى تحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الله ـــ تعالى ـــ وهي الالتزام بمنهج الله.

ثانيا: لم يقف القرآن عند حد العرض فحسب، بل لما هدى الناسَ إلى الإيمان بمسائل العقيدة ودعاهم إلى ذلك، أتاهم بالبينات الساطعة، لتكون الدعوة قائمة على الحجة القاطعة، بحيث لا يبقى سبيل إلى التردد أو الشك في صدق ما دعا إليه.

ثالثاً: يكتف القرآن بنوع من الأدلة بل يستعين بالأدلة العقلية والشواهد التأريخية والإثارة الوجدانية، إذ القرآن لم يقصد بعرض الأدلة من الأنفس والكون مجرد المعرفة الثقافية بل أراد أن تتحول هذه المعرفة إلى حركة فكرية وعاطفية، ثم إلى قوة دافعة لتحقيق مدلولها في الواقع، ولا يمكن تحقُّقُ هذا العمل بمجرد الدليل العقلي، إذ هو وحده لا يقدر أن يكسب ثقة النفس ما لم يدعمه شاهد من الواقع يصدقه وذلك هو التأريخ بأحداثه وعبره، وهو بعد أن ينال من النفس هذه الثقة لا يسيطر عليها بالقيادة والتوجيه، ما لم يُجنِّد له جيشٌ من العواطف والأشواق، وتلك هي الإثارة الوجدانية. فلذا لا يقف القرآن أمام العقل وحده يخاطبه، بل يوجه إرشاده إلى كل القوى المدركة في الإنسان، فدفع الإنسان لاستخدام حواسه وعقله و عاطفته بمثل قوله: (يعقلون، يتفكرون، يفقهون، انظروا) هذه الألفاظ وإن كان ظاهرها الدعوة إلى استخدام العقل وعملياته العليا، ولكن قبل أن تبلغ العقل لابد أن تمر بالحواس لأنها مشاهد محسوسة، وفي نفس الوقت تحرك الوجدان، لأنها من نعم الله على الإنسان، وهو مفطور على حب من أحسن إليه.

رابعا: إن القرآن في استدلاله وجِدالِه عن مسائل العقيدة قد سلك طريق النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس، لِمَا فيهما من الخصائص:

أ ـــ انتزاع الأدلة من الأحوال المحسوسة دون غموض كما اعتاد الناس في أقيستهم ومحاوراتهم.

ب ـــــ سهولة تصور تلك الأدلة بحيث لا يمكن إنكارها لوضوحها وسرعة فهمها.

ج ـ استمرارية هذه المشاهد الكونية مع وجود الإنسان.

خامسا: لا تعارض في القرآن بين الآيات التي تحدثت عن مسائل العقيدة، وإذا حدث تعارض ـ في الظاهر ـ بين الآيتين أو بين طائفتين من الآيات، فلابد من البحث والتزام المنهج الذي يجب اتباعه في تفسير نصوص القرآن والوقوف على مقاصدها، ومن أبرز قواعد هذا المنهج أن لا يُفسَّر أيٌّ من الطائفتين من الآيات إلا في ضوء الطائفة الثانية، فلا يجوز التأمل في معنى أيٍّ منهما بمعزلٍ عما تدل عليه الطائفة الأخرى، إذ كلٌّ من الطائفتين فيها ردٌّ لفكرةٍ منحرفةٍ وبجمعها تَبيَّن حدٌ وسطٌ لا يمكن تحقُّقُه إلا في ظلِّ عبوديةِ الله والخشوعِ له. وهذه القاعدة الكبرى أثبتُّه في الإيمان وأركانِه

المصادر والمراجع

* القران الكريم

١- عبد الرحمن كمال محمد ، باشراف د. عبد الكريم سلمان ، وهي بحث تكميلي ثاني كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .

٢- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (ت ٩١١هـ)، ط١ بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

٣- د. محمدعبد الستار نصار ، نشرت في مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٩٤١ حزيران ١٩٧٢م ، تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت.

٤- لابي عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) ، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة ، رقم الحديث ٢٦٩٦ .

٥- للامام ابي حامد محمد بن الغزالي ، (ت ٥٠٥هـــــ) ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .

٦- الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، نقلها إلى العربية وحققها وعلّق عليها :

محمة رحمة الله حافظ الندوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
٧- ابو محمد علي بن حزم الظاهري الاندلسي ، (ت ٤٥٦هـــ) ، نشر احسان عباس، ط ١، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٨٤.
٨- علي بن محمد الجرجاني(توفي ٨١٦هـ)، التحقيق عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل بيروت ـــــ لبنان، الطبعة الاولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. و شرح المقاصد، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(توفي ٧٩٣هـ)، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الاولى: ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م .
٩- كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الثالثة: ١٣٩٤هـ .
١٠- القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، (المتوفى ٤٠٣هـ)، تحقيق: الحجة الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الازهرية للتراث، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
١١- شرح أُم البراهين، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي (المتوفى سنة ٨٩٥هـ)، مطبعة الإستقامة، الطبعة الأولى: ١٣٥١هـ.
١٢- الدكتور عوض الله جاد حجازي، رئيس جامعة الازهر سابقا، وعضو مجمع البحوث الاسلامية، الطبعة الاولى: ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.
١٣- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـــ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ.
١٤- للشيخ احمد الدردير، اختصرها وعلّق عليها الاستاذ سعيد فودة، الطبعة الاولى: ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م، دار النور المبين للدراسات والنشر.

١٥- السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي (ت. ١٣٣٣هـــ) ، اعتنى بها : السيد عبد الماجد الغوري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ =٢٠٠٤م .
١٦- العقائد العضدية: عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي (ت٧٥٦هـ)، ومعه شرح جلال الدين محمد بن أسعد الدواني، (ت٩١٨هـ) ومعه حاشية إسماعيل الكلنبوي (ت١٢٠٥هـ)، مطبعة عثمانية، سنة ١٣١٦هـ=١٨٩٥.
١٧- العقائد النسفية: نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي

(ت٥٣٧هـ=١١٤٢م) وشرحه: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني الشافعي (ت٧٩٣هـ١٣٩٠م).

١٨- العقيدة الإسلامية ومذاهبها: د.قحطان عبدالرحمن الدوري، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٧م.

١٩- صحيح البخاري وشرحه فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٣٧٧_ ٢٥٨هـ) ، ط ١ ، دار مصر ، ٥٩٣/١٣ .

٢٠- العقيدة في القرآن الكريم بين التخلية والتحلية: د. أحمد سعيد سيف الدين، دار البشائر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٢١- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة المطهرة: د. سعد الدين صالح، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ= ١٩٩١م.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م.

٢٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

٢٤- لمحات من الفكر الكلامي، د.حسن الشافعي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٢٥- الله الأحد صفاته وكمالاته ومن كلماته: د. أحمد زكي حماد، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

٢٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: شرح منظومة: الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، والشرح والمنظومة كلاهما محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان الحنبلي السفاريني (ت١١٨٨هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني بالرياض، ط٣، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٢٧- مدارج السالكين : لإبن القيم الجوزية ، تح : محمد حامد الفقي ، مصورة عن مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .

٢٨- محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله مع العالم: عبد الله سراج الدين، تقديم وجمع: محمد محييالدين سراج الدين، ترتيب وضبط: تلميذه محمد علي الأدلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤٢٤ هـ=٢٠٠٣م و ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

٢٩- المحتسب في تبيين شواذ القراءات: أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبدالفتاح شلبي، المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية، ١٣٨٩هـ=١٩٦٨م.
٣٠- محصـــل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين: أبو عبدالله محمد بن عمر البكري الشـــافعي فخر الدين الرازي (ت ســـنة ٦٧٢هـــ=١٢٧٤م)، مراجعة وتقديم: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
٣١- المختار من كنوز الســـنة النبوية، شـــرح أربعين حديثا في أصـــول الدين: د.محمد عبدالله دراز، (ت: سنة ١٣٧٧هـــ-١٩٥٨م)، ط٤، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، العالمية للطباعة والنشر، الدوحة، قطر، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
٣٢- مختصـــر تفســـير القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصـــاري القرطبي، اختصـــار ودراســـة وتعليق: الشـــيخ محمد كريم راجح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
٣٣- مدخل إلى القرآن: محمد عبدالله، ترجمة: محمد عبدالعظيم علي، مراجعة وتقديم: د.السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، ط٥، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
٣٤- المذاهب التوحيدية والفلسـفات المعاصـرة، د. محمد سـعيد رمضـان البوطي، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
٣٥- مفاهيم أســاســية في العقيدة الإســلامية، د. إحســان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
٣٦- موسوعة أسماء الله الحسنى: أ.د. محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط٥، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
٣٧- نظرات لغوية في القرآن الكريم: د. صـــالح بن حســـين العأيد، دار كنوز اشبيليها للنشر والتوزيع، السعودية، ط٣، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
٣٨- نظرية المعرفة بين القرآن والفلســـفة: د. راجح عبدالحميد الكردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
٣٩- نظرية المعرفة في القرآن الكريم و تضميناتها التربوية: د. أحمد محمد حسين الدغشي، دار الفكر، دمشق، سورية، إعادة: ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
٤٠- نقض أوهام المادية الجدلية: د.محمد ســـعيد رمضـــان البوطي، دار الفكر ، دمشق ، ط١٩، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م .
٤١-نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد عبدالكريم الشـــهرســـتاني، تحقيق:

الفرد جيوم، مكتبة الزهران، ١٣٩٧-١٩٧٩م.

---

(١) سورة الانعام ، الاية : ٧٥ .

(٢) ينظر: خلاصة في السلم ، عبد الرحمن كمال محمد ، باشراف د. عبد الكريم سلمان ، وهي بحث تكميلي ثاني كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير مقدمة الى مجلس كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، ص٥٧ .

(٣) سورة الانبياء ، الاية: ٢٢.

(٤) سورة الاعراف ، الاية ٤٠.

(٥) ينظر: الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (ت ٩١١هـ)، ط١ ، المشهد الحسيني- مصر ، ٥٤/٤.

٦ () ينظر: أصول منهج الفكر الاسلامي ، مقالة د. محمدعبد الستار نصار ، نشرت في مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٩٤١ حزيران ١٩٧٢م ، تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت .

(٧) ينظر : د. محمدعبد الستار نصار ، نشرت في مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٩٤١ حزيران ١٩٧٢م ، تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت .، ص١٥.

(٨) ينظر: مقاصد الفلاسفة ، للامام الغزالي ، ص٤.

٩() سنن الترمذي ، لابي عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) ص ٧٧١، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة ، رقم الحديث ٢٦٩٦ .

(١٠) سورة البقرة ، الاية: ٢٦٩.

١١ () ينظر: مقاصد الفلاسفة ، للامام الغزالي ، ص٤.

(١٢) تهافت الفلاسفة ، للامام ابي حامد محمد بن الغزالي ، (ت ٥٠٥هـ) ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م ، ص٤٥ .

(١٣) إبن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي ، (٩٩٤ – ١٠٦٤م) ، عالم عربي اندلسي مؤرخ وفقيه ومحدث واديب ومؤلف في علم الكلام والعقائد والفلسفة ، كان شافعي المذهب ، ثم اصبح ظاهرياً ، وله مصنفات منها ، طوق الحمامة ، فضل الاندلس ، و ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل ، ومؤدى مذهبه الفقهي الظاهري ان كل قياس لا يستند الى القران والحديث باطل . ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ١٣/١.

(١٤) التقريب لحد المنطق ، ابو محمد علي بن حزم الظاهري الاندلسي ، (ت ٤٥٦هـ) ، نشر احسان عباس، ط ١، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٨٤ ، ص٣ .

(١٥) ينظر : دائرة معارف في سيرة النبي : ٤/ ٤٣٠ .

(١٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

(١٧) سورة الأنبياء، الآية: ٣٦.

(١٨) هو السيد سليمان بن أبي الحسن بن محمد شِيْر ، ولد في قرية (ديسنه) من ولاية بيهار ـ الهند ـ سنة (١٨٨٤م) له مؤلفات قيمة في السيرة والتأريخ من أهمها (أرض القرآن) (سيرة النبي) (سيرة السيدة عائشة أمِّ المؤمنين) توفي بباكستان في ٢٢ من شهر نوفمبر سنة (١٩٥٣م) . السيد سليمان الندوي أمير علماء

الهند في عصره وشيخ الندويين : د. محمد أكرم الندوي ، دار القلم ، دمشق : ٥ ـ ٦ . مقدمة الرسالة المحمدية : محمد رحمة الله حافظ الهندي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م : ١٧– ٢٥ .

(١٩) دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/٤٣٠. الرسالة المحمدية: ص٢٣٥.

(٢٠) تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/٤٣١.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه. تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/٤٣١.

(٢٢) الرسالة المحمدية : ٢٣٠– ٢٣٤.

(٢٣) قد اختُلِف في أول واجب على المكلف أنَّه ماذا؟ فالأكثر ومنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري على أنه معرفة الله تعالى، إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية، وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية. ينظر: المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (توفي ٧٥٦هـ)، بشرح علي بن محمد الجرجاني(توفي ٨١٦هـ)، التحقيق عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل بيروت ــ لبنان، ط١: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ١/ ١٦٥، ١٦٦. و شرح المقاصد، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني(توفي ٧٩٣هـ)، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١: ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، ١/ ١٢١.

(٢٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١١.

(٢٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صل الله علية وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، ١/ ٥٨، رقم ٣٠.

(٢٦) ذهب إلى هذا التقسيم المتقدمون من الأشاعرة و الماتريدية. ينظر: الإنصاف، فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لإمام المتكلمين القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، (المتوفى ٤٠٣هـ)، تحقيق: الحجة الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الازهرية للتراث، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ٢٥. وبحر الكلام، للإمام ابي المعين ميمون بن محمد النسفي، (المتوفى سنة ٥٠٨هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح للدراسات والنشر– عمّان– الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م، ١٠٤.

(٢٧) **وهي الوجود:** صفة يدل الوصف بها على عين الذات دون معنى زائد عليها. ينظر: شرح أُم البراهين، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي (المتوفى سنة ٨٩٥هـ)، مطبعة الإستقامة، ط١: ١٣٥١هـ، ٢٠.

(٢٨) وهي خمسة: القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية. ومعنى أنها سلبية أنَّ مدلول كل واحدة منها عدم أمر لا يليق بمولانا عز وجل. ينظر: شرح أُم البراهين، للسنوسي، ٢١.

(٢٩) ذهب إلى هذا التقسيم المتأخرون من الأشاعرة . ينظر: شرح أُم البراهين، للسنوسي،٢٠ وما بعدها. و شرح الخريدة البهية، ابي البركات احمد بن محمد الدردير (توفي ١٢٠١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه، مصطفى ابو زيد محمود رشوان، المدرس بكلية اصول الدين، جامعة الازهر الشريف، الطبعة الاولى: ١٤٣١هـ ـــ ٢٠١٠م، دار البصائر ـــ القاهرة، ١٥١، ١٥٣، ١٧٢. والقول السديد في علم التوحيد، فضيلة الاستاذ الشيخ محمود ابو دقيقة الاستاذ بكلية اصول الدين، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض الله جاد حجازي، رئيس جامعة الازهر سابقا، وعضو مجمع البحوث الاسلامية، الطبعة الاولى: ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م، الادارة العامة لأحياء التراث، ٢/٥.

(٣٠) المقصود بها: الصفة النفسية، والصفات السلبية، وصفات المعاني، والصفات المعنوية.

(٣١) ينظر: كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الثالثة: ١٣٩٤هـ، ص ١١٥.

(٣٢) صحيح مسلم، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ١/٣٢٥، رقم ٤٨٦.

[٣٣] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ، ٤/ ٢٠٤.

[٣٤] في قوله" فمما".

[٣٥] شرح أُم البراهين، للسنوسي، ٢٠.

[٣٦] حاشية على مختصر شرح الخريدة البهية، للشيخ احمد الدردير، اختصرها وعلّق عليها الاستاذ سعيد فودة، الطبعة الاولى: ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م، دار النور المبين للدراسات والنشر، ٥٨.

[٣٧] سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

[٣٨] سورة الحشر، الآية: ٢٣.

[٣٩] تنظر : نظرات في الأدب النبوي : السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي (ت. ١٣٣٣هـــ) ، اعتنى بها : السيد عبد الماجد الغوري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـــ =٢٠٠٤م : ٦٣-٦٥. العقيدة الإسلامية الميسرة : ٩٠.

[٤٠] الألطاف الالهية : ٢/ ٢٠٤ و ٢١٣ .

[٤١] سورة الشورى، الآية : ١١ .

[٤٢] العقيدة الإسلامية الميسرة: ص٩٢. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومنهاج المتكلمين: ص١١٩.

[٤٣] سورة البقرة، الآية: ٢٩.

[٤٤] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[٤٥] سورة الفتح، الآية: ٢١.

[٤٦] سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

[٤٧] سورة الانبياء، الآية: ١٠٧.

[٤٨] العقيدة الإسلامية الميسرة: ص٩٣. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومنهاج المتكلمين: ص١٢٠.

[٤٩] سورة الشورى، الآية: ٤.

[٥٠] سورة الدخان، الآية: ١٦.

[٥١] العقيدة الإسلامية الميسرة: ص٩٤. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومنهاج المتكلمين: ص١٢١.

[٥٢] سورة الزمر، الآية: ٥٣.

[٥٣] سورة النمل، الآية: ٦٢.

[٥٤] سورة الكهف، الآية: ١.

[٥٥] ينظر: العقيدة الإسلامية الميسرة: ص١٠٠ العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ص: ١٢٦.

[٥٦] سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

[٥٧] سورة محمد، الآية: ١٩.

[٥٨] سورة البقرة، الآية: ١١٦.

[٥٩] سورة الإخلاص، الآية: ٣.

[٦٠] سورة الجن، الآية: ٣.

[٦١] سورة ق، الآية: ٣٨.

[٦٢] سورة فاطر، الآية: ٤٤.

[٦٣] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[٦٤] سورة فصلت، الآية: ٤٦.

[٦٥] سورة الدخان، الآية: ٨.

[٦٦] سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

[٦٧] سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
[٦٨] ينظر: العقيدة الإسلامية الميسرة: ص١٠٢. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ص: ١٢٩.
[٦٩] سورة البقرة، الآية: ٣٤.
[٧٠] سورة الجاثية، الآية: ٣٧.
[٧١] تنظر: دائرة المعارف في سيرة النبي: ٤٤٨/٤.
[٧٢] سورة النساء، الآية: ١٤٩.
[٧٣] ينظر: منهج تربوي فريد في القرآن الكريم: ص٨٥.
[٧٤] دائرة معارف في سيرة النبي : ٤/ ٤٦١ – ٤٦٢ .
[٧٥] سورة الأعراف الأيتان: ٥٥–٥٦.
[٧٦] سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
[٧٧] سورة يس، الآية: ١١.
[٧٨] تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦١/٤.
[٧٩] سورة طه، الآية: ١٠٨.
[٨٠] ينظر: منهج تربوي فريد: ص ٨٧.
[٨١] سورة الحج، الآية: ٦٥.
[٨٢] سورة النحل، الآية: ٥.
[٨٣] سورة النحل، الآية: ١٠.
[٨٤] سورة النحل، الآية: ١٢.
[٨٥] سورة النحل، الآية: ١٤.
[٨٦] تنظر: الرسالة المحمدية: ص٢١٩–٢٢٠. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٢١/٤– ٤٢٣.
[٨٧] سورة التوبة، الآية: ٣٠.
[٨٨] سورة البقرة: ٨٠.
[٨٩] سورة الجمعة، الآية: ٦.
[٩٠] تنظر: نظرات لغوية في القرآن الكريم: ص٨٧. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٣/٤.
[٩١] سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
[٩٢] تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٤/٤.
[٩٣] الرسالة المحمدية: ص٢٣٠–٢٣٢، دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٥/٤.
[٩٤] سورة الشورى، الآية: ١١.
[٩٥] سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
[٩٦] الرسالة المحمدية: ص٢٣٣.
[٩٧] سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
[٩٨] تنظر: الرسالة المحمدية: ص ٢٣٢–٢٣٤. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٥/٤ .
[٩٩] تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٧/٤ .
[١٠٠] سورة البروج، الآية: ١٤.
[١٠١] سورة الشورى، الآية: ٢٨.
[١٠٢] سورة النور، الآية: ٢٠.
[١٠٣] سورة ص، الآية: ٦٦.
[١٠٤] سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(١٠٥) سورة ص، الآية: ٩.
(١٠٦) سورة التغابن، الآية: ١٧.
(١٠٧) سورة الطور، الآية: ٢٨.
(١٠٨) سورة النور، الآية: ١٠.
(١٠٩) تنظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٦٩/٤ .
(١١٠) سورة الشورى، الآية : ١١ .
(١١١) الرسالة المحمدية: ص٢٣٤ وما بعدها. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/ ٤٣١.
(١١٢) المصدر نفسه.
(١١٣) البراهمة: نسبة إلى (برهم) وهو اسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عندهم الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها لا حد له، وهو الأصل الأزلي الذي يستمد منه العالم وجوده، والهندوسية دين توحيد من جهة لأنه يؤمن بالله، ودين تعدد من جهة أخرى، وتظهر فيها عقائد بدائية كعبادة قوى الطبيعة، وعبادة الأجداد، وعبادة البقر بشكل خاص. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني: ٤٦/١. أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٨٨هـ=١٩٦٧م: ص ٤٩ .
(١١٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود عبدالعزيز الخلف، دار أضواء ص ٢٨٢.
(١١٥) سورة الحشر، الآية: ٢٤.
(١١٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(١١٧) سورة الشورى، الآية: ٩.
(١١٨) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(١١٩) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(١٢٠) سورة البروج، الآية: ١٦.
(١٢١) سورة الطور، الآية: ٤٣.
(١٢٢) سورة الحشر، الآيات : ٢١.
(١٢٣) ينظر: دائرة معارف في سيرة النبي: ٤٧١/٤ خصائص الأمة الإسلامية كما تبينها سورة المائدة: ص٢٢١.
(١٢٤) ينظر: حاشية الامام البيجوري على جوهر التوحيد ، ص١٦٣
(١٢٥) ينظر: حاشية الامام البيجوري على السنوسية ، ص٣٦
(١٢٦) ينظر: اصول الدين الاسلامي، ص١٧١ ، وينظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ، ص١٦٦
(١٢٧) سورة القصص ، الاية: ٦٨
(١٢٨) سورة الاسراء ، الاية: ٥٤
(١٢٩) سورة يونس ، الاية: ١٠٧
(١٣٠) ينظر: حاشية البيجوري على السنوسية ، ص٣٦.
(١٣١) كبرى اليقينيات الكونية ، للبوطي ، ص١٧٠.
(132) ينظر: شرح الاصول الخمسة ، ص٢٤٨ وما بعدها ؛ وينظر: النظام الفريد ، محمد محي الدين ، ص١٦٦ .
(١٣٣) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إنكم سترون ربكم عياناً) ، صحيح البخاري وشرحه فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني (٣٧٧_ ٢٥٨هـ) ، ط ١ ، دار مصر ، ٥٩٣/١٣ ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ، رقم الحديث: ٧٤٣٥.
(١٣٤) سورة القيامة ، الايتان: ٢٢ –٢٣.
(١٣٥) سورة يونس ، الاية: ٢٦.

(١٣٦) صحيح البخاري وشرحه فتح الباري ، ٥٩٣/١٣ ، باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾ ، رقم الحديث ٧٤٣٧ .

(١٣٧) اصول الدين الاسلامي ، د. رشدي عليان ، ص١٧٦.

(١٣٨) سورة المطففين ، الاية: ١٥.

(١٣٩) اتحاف المريد ، للقاني ، ص٢٠٦ وما بعدها ؛ وحاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ، ص ١٩١

(١٤٠) ينظر:اتحاف المريد ، للقاني ، ٢٠٤ .

(١٤١) سورة الاعراف ، الاية: ١٤٣.

(١٤٢) سورة القيامة ، الايتان: ٢٢ – ٢٣.

(١٤٣) المسامرة شرح المسايرة ، كمال الدين الشافعي ، ص٦٤ .

(١٤٤) ينظر: اتحاف المريد ، للقاني ، ص٢٠٦ .

(١٤٥) تنظر: الرسالة المحمدية: ص٢٣٤-٢٣٧. قصة الإيمان: ص١٧٤. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/٤١٠-٤١١.

(١٤٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(١٤٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(١٤٨) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(١٤٩) تنظر: الرسالة المحمدية: ص٢٣٦-٢٣٩. قصة الإيمان: ص١٧٥. دائرة معارف في سيرة النبي: ٤/٤١٠-٤١١.

(١٥٠) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(١٥١) تنظر: رؤية علمية للإيمان: محمد رشدي عبيد العقراوي، مطبعة الجمهور، موصل، ط١، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م: ص٨٣-٨٦. الرسالة المحمدية: ٢٣٨-٢٣٩. قصة الإيمان: ١٧٥.

(١٥٢) ينظر: رؤية علمية للإيمان: ٨٦-٨٧.

(١٥٣) ينظر: كيف أرى الله، للإستاذ عبدالودود شلبي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة: ص٥٧.

(١٥٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(١٥٥) تنظر: رؤية علمية للإيمان: ص٨٨.

(١٥٦) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(١٥٧) تنظر: قصة الإيمان: ص٢٠٧.